

مريم العذراء والمسيح

عليهما السلام ..

للدكتور : مصطفى عبد الواحد

« إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » .

سورة آل عمران سورة مدنية نزلت بعد سورة الأنفال وفيها مائتا آية، وسميت بآل عمران لأنه ورد فيها قصة مريم بنت عمران وابنها عيسى عليه السلام ..

. . . .

حنة بنت فاقود : انظر يا عمران الى هذا الطائر الذى يزق فراخه .. يا له من حنان يحرك القلوب !

عمران : لماذا تذكرين هذا يا حنة .. اولست راضية بحكم الله ؟ إنه يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور .. وهو كذلك يجعل من يشاء عقيما ..

حنة : لست ساخطة على حكم الله يا عمران .. ولكن رحمته وسعت كل شيء .. ولا حرج على فضله ، فماذا لو تمنيت أن يمن عليّ بوليد ..؟!

. . . .



عمـــــران : انت وذاك يا حنة .. ولا أملك الا أن أدعـــو الله أن يحقق رجاءك ، وهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار .
(واستجاب الله لدعاء حنة وزوجها عمران ، وحملت حنة بعد أن كانت عقيما) .

حنة (فى فرح) : إنك لمبارك يا عمران .. ما أسرع مـــا استجاب الله لدعائك ..

عمـــــران : فلتقرى عينـــا يا حنة .. وليكن لك فى هـــذا المولود المنتظر خير وبركة .

حنـــــة : إننى لا أجد ما أشكر به ربى وأستزيد من نعمته إلا أن أجعل ما فى بطنى نذرا لله .. حبيسا للعبادة والخدمة فى بيت المقدس ..

عمـــــران : ذلك بعض ما يجب علينا من الشكر لنعمة الله ..
(وجاء حنة المخاض ، ووضعت مريم عليها السلام) .

حنـــــة : « رب .. إنى وضعتها أنثى » .

عمـــــران : ما هذا يا حنة ؟ أوليس الله أعلم بما وضعت ؟

حنـــــة : بلى يا عمـــران .. ولكنى نذرت مـــا فى بطنى محررا لخدمة بيت المقدس وهـــذه أنثى .. « وليس الذكـــر كالأنثى وانى سميتها مريم (رباه) .. وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ..

عمـــــران : ما أرى الا قد استجيب لك يا حنة .. فما من مولود الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا ، أما مولودتك هذه فقد ولدت هادئة مبتسمة ، وتلك بشارة القبول .

حنـــــة : إنها نبتة مباركة ، نذرتها لله قبل أن تولد ، ولا بد أن أغرسها فى مهد العبادة ، وأجعل كفالتها بيد الرهبان خدام بيت المقدس .
« فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نبـــاتا حسنا وكفلها زكريا » .

قـــال زكريـــا : أيها العباد القانتون .. تلك مريم بنت عمران جاءت بها أمها بعد أن وضعتها الى المسجد ، تريد أن يقوم على كفالتها عباد الله ..

الرهبـــــان : أهلا بها فرعا مباركا من شجرة مباركة .. ابنة شيخنا وإمامنا عمران ..

زكـــــريا : أتأذنون لى بكفالتها أيها الرهبان ؟

الرهبـــــان : كلنا نريد ذلك الشرف يا نبى الله ..

قـــال زكريـــا : فلنقترع على هذا الأمر ، فأينما خرجت قرعته رضينـــا به كفيلا لمريم ..

الرهبـــــان : نعم .. نعم .. ذلك فصل الخطاب ..
قــال زكريــا : ليلق كل منا قلمه فى النهر .. فأينا جرى قلمــه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ..
« وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ايهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم اذ يختصمون » .
(فكان زكريا عليه السلام هو الغالب لهم ، فكفلها اذ كان احق بذلك شرعا وقدرا .. وكان ذلك تشريفا لمريم وتكريما ..)
قــال زكريــا : ليس لك من عمل يا مريم إلا العبادة .. وليس لك من دار الا المسجد .. وقد جعلت لك فيه مكانا لا يدخله سواك تعبدين فيه ربك .. وتقومين بما يجب عليك من سدانة بيته .

• • • • • • •

راهـــــب : اى بركة تلك التى اصابت تلك الفتاة .. لقد اصبحت مريم ابنة عمران مثلا فى العبادة لبنى اسرائيل ..
قــال زكريــا : إنى لأعجب من احوالك الكريمة يا مريم .. كلما دخلت عليك المحــراب وجدت عندك رزقا غريبــا .. فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهــة الشتاء فى الصيف فــأنى لك هذا ؟!
مريــــــم : « هو من عنـــد الله ، ان اللـــه يرزق من يشاء بغير حساب » .
قــال زكريــا : ما اوسع رحمتــك عـــلى عبادك يا رب .. وما اسبغ نعمتك على من يخلصون فى عبادتك ، فلا حرج على إن طمعت فى فضلك .. يا من يرزق مريم الثمر فى غير أوانه هب لى ولدا ، وان كان فى غير أوانه ..
« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء » .

• • • • • • •

مريــــــم : رباه .. لقد اخلصت فى عبــادتك .. فهل أطمع فى قبولك .. واستشرفت الى رضاك فهل أنال رحمتــك يوم ألقاك .. لو اعلم عملا يقربنى اليك اكثر مما اعلم لسارعت إليه .
« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهـرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتى لربــك واسجدى واركعى مع الراكعين » .
مريــــــم : ما ابهى طاعتك يا مولاى .. وما أشرف السجود لك .. وما أكرم الوقوف بين يديك .. ان لطاعتك لذة احلى من الدنيا وما فيها ..

• • • • • • •

« اذ قالت الملائكة يــا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكــلم الناس فى المهــد وكهــلا ومن الصالحين » .

مريـــــم : رباه .. ماذا أسمع « انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر » ماذا يقول عنى قومى ..؟
« قال كذلك الله يخلق ما يشـــاء اذا قضى أمرا فانمــا يقول له كن فيكون » .
« واذكــر فى الكتاب مريم إذ انتبــذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » .

مريـــــم : ماذا يقــول عنى بنو اسرائيــل حين يعلمون اننى قد حملت .. هل يصدقون بآية الله ..؟ أم تنطلق منهم ألسنة السوء .. رباه فاجعل لى من هذا الهم مخرجا »

. . . .

يوسف النجار : ماذا بك يا مريم ؟..

مريـــــم : لا شىء يابن الخال ، فماذا ترى بى ؟

يوســـف : هل يكون زرع من غير بذر ..؟

مريـــــم : نعم يا يوسف .. والا فمن خلق الزرع الأول ؟

يوسف النجار : ما أعجب امرك .. هل يكون ولد من غير ذكر ؟

مريـــــم : نعم يا يوسف .. ان الله خلق آدم من غير ذكر ولا انثى

يوســـف : فأخبرينى خبرك يا مريم ..

مريـــــم : ان الله بشرنى بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم النـــاس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ..

يوســـف : ما أعظم المعجــزة .. ولكنى أخاف عليــك ألسنة بنى اسرائيل وأنت القانتة الطاهرة .

مريـــــم : حسبى علم الله .. وانه لقادر أن يبرئنى ويظهر طهارتى من كل دنس ..

يوســـف : فلتكن إرادة الله ..

. . . .

« فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » .

مريـــــم : إلهى .. هكذا شاءت إرادتك أن تبتلينى .. وان تجعل منى آية للعالمين .. ولكنى حملت من الهم ما تنوء بــه الجبال .. فماذا يقول عنى بنو اسرائيل حين أدخــل

عليهم بغلام احمله على يدى .. وانا من بيت النبـوة والديانة ..

« فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا » .

ومضت أربعون يوما .. ورجعت مريم الى قومها بعد أن افتقدوها .. وهى تحمل ولدها ..

الرهبـــان : ما هذا يا مريم .. من اين لك هذا الغلام ؟..

صـــوت : « لقد جئت شيئا فريا » .

صـــوت : « يا اخت هـارون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغيا » .

« فأشارت اليه .. » .

الرهبـــان : « كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » ..

تـــلاوة : « قال انى عبد الله آتانى الكتـاب وجعلنى نبيـا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصـلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا » .

. . . .

راهـــب : ما اعجب تلك الآية التى ظهرت فى مريم وابنها عيسى.. لقد تكلم فى المهد وبرأها من كل فرية ..

راهب آخـر : أو ما علمت برسل ملك الفرس ؟.. لقـد ظهر نجم عظيم فى السـماء ، فأشـفق ملك الفرس من ظهوره وسأل كهنته عنه فقالوا هذا لمولد عظيم فى بيت المقدس .. فبعث رسله الى الشام .. حتى قدموا بيت المقدس بهداياهم الى مريم ..

الـــراهب : لقد علمت بهذا الوفد .. وعلمت أن ملك الفرس بعث مع هذا الوفد من يقتل عيسى بعد أن يخرج رسل الملك الذين يحملون الهدايا اليه ..

(وخرجت مريم هاربة بابنها عيسى ، فذهبت به الى مصر وأقامت به حتى بلغ اثنتى عشرة سنة .. ثم أمر الله عيسى وامه أن يخرجـا من مصر ويرجع الى بيت المقدس ، فأقام بها حتى علمه الله التوراة وأوحى اليه الانجيل ، وأظهر على يديه الآيات ..)

« واذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس » .

. . . .

(وبينما كان عيسى عليه السلام يتعبد فى راس جبـل إذ جاءه ابليس .)

ابليس : يا عيسى .. أنت الذى تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر ؟
قال عيسى : نعم .. يا عدو الله ..
ابليس : فألق بنفسك من هذا الجبل وقل قدر عليّ ..
قال عيسى : يا لعين ، ان الله هو الذى يختبر العباد وليس العباد هم الذين يختبرون ربهم ..
ابليس : يا عيسى .. أنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك انك تكلمت في المهد صبيا .. ولم يتكلم فيه أحد من قبلك !
قال عيسى : بل الربوبية للاله الذى أنطقنى ثم يميتني ثم يحيينى .
ابليس : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك انك تحيى الموتى .
قال عيسى : بل الربوبية لله الذى يحيي ويميت من أحييت ثم يحييه .
ابليس : لا يا عيسى .. إنك لإله فى السماء وإله فى الأرض ..
قال عيسى : أمض عنى يا لعين . اللهم انصرنى عليه ..
(وجاء جبريل فصك ابليس بجناحه صكة خسفت به الأرض .. فخرج وهو يقول :)
ابليس : ما لقيت من أحد مثلما لقيت من عيسى ابن مريم .. انه لعبد معصوم ليس لى عليه من سبيل .. وسأضل به بشرا كثيرا .. وأبث فيهم أهواء مختلفة .. وأجعلهم شيعا يجعلونه وأمه إلهين من دون الله ..

. . . .

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . ورسولا الى بني اسرائيل » .
قال عيسى : يا بنى اسرائيل .. إنى رسول الله إليكم .. لأقيم لكم التوراة ولأجدد فيكم التوحيد والايمان ..
اصوات : رسول جديد ..؟ ما لنا وله..ان فى أيدينا توراة موسى
صوت : أتستطيع يا عيسى أن تخبرنى بما خبأت فى بيتى ؟..
(ضحك وأصوات استهزاء ...)
قال عيسى : لا تعجبوا ولا تهزأوا يا بنى اسرائيل ، فان الله قد أيدنى بروح القدس .
تلاوة : « وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » .
(ومضى عيسى فى دعوته لبنى اسرائيل وآيات الله تؤيده بالمعجزات ، وكان أعظم معجزاته احياء الموتى باذن الله .. وكان أول ما أحيا من الموتى انه مر ذات يوم على امرأة تبكى عند قبر :)
قال عيسى : مالك أيتها المرأة ؟
المرأة : ماتت ابنتى ، وليس لى ولد غيرها ، ولقد عاهدت ربى أن لا ابرح من موضعي هذا حتى أذوق ما ذاقت من الموت أو يحييها الله فانظر اليها ..
قال عيسى : فان نظرت اليها .. أترجعين وتتركين هذا المكان ؟
المرأة : نعم .. فكيف لي بذلك ..؟

قــال عيســى : صبرا .. سترين الآن .. قومى أيتهــا الفتــاة باذن الرحمن فاخرجي ..
(وخرجت الفتاة من القبر ، ثم اقبلت على امها فقالت :)
ـــ يا أماه .. ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين .. يا أماه اصبرى واحتسبى فلا حاجة لى فى الدنيا .. وانت يا روح الله وكلمته سل ربى أن يردنى الى الآخرة وان تهون على كرب الموت .

المــراة لعيسى : يا لك من مبارك أيها الرجــل .. ما كنت ادرى انك عيسى بن مريم .. أشهد انك رسول الله ..

• • • • • •

(وبلغت اليهود تلك المعجزات فكانوا يزدادون عليــه غضــبا .. وكان الكافرون والمنافقون يزدادون شــكا وكفرانا .. فوشوا به الى الحاكم الرومانى بيلاطس .)
« ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » ..

يقــول عيسى : يا معشر الحواريين .. احضرونى الليلة فان لى اليكم حاجة .. هــا قد فرغتم من طعامكم فدعــونى اغسل ايديكم واوضئكم بيدى ..

الحــــواريون : معاذ الله يا روح الله وكلمته ..

يقــول عيسى : من رد علىّ شيئا الليــلة مما أصــنع فليس منى ولا انا منه ..

الحــــواريون : ماذا أردت بذلك الذى صنعت بنا ..؟

قــال عيســى : اما ما صنعت بكم الليلة فليكن لكم بى اسوة ، فلا يتعظم بعضكم على بعض .. وليبذل بعضكم لبعض نفســه كما بذلت نفسى لكم ..

الحــــواريون : سمعا وطاعة يا نبى الله ..

قــال عيســى : ثم ان لى اليكم حاجة استعينكم عليها .. تدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء ان يؤخر اجلى ..
وقام الحواريون يدعون فأخذهم النــوم فلم يستطيعوا الدعاء وكأنما حيل بينهم وبينه ..

قــال عيســى : سوف يذهب بالراعى وتتفرق الغنم ـــ ايها الحواريون ، الحق اقول لكم .. ليكفرن بى احدكم قبل ان يصــيح الديك ثلاث مرات .. وليبيعنى احــدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى ..

الحــــواريون : ويل لنا ان فعلنا ذلك ..
« وإذ قال الله يــا عيسى إنى متوفيك ورافعــك الىّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فــوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » .

• • • • • •